سلسلة كتيبات شبكة بينونة

مناهج وأصول

أهل البدع

الشيخ إبراهيم بن عبدالله المزروعي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

مناهج وأصول أهل البدع

مناهج وأصول أهل البدع

الشيخ
إبراهيم بن عبد الله المزروعي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

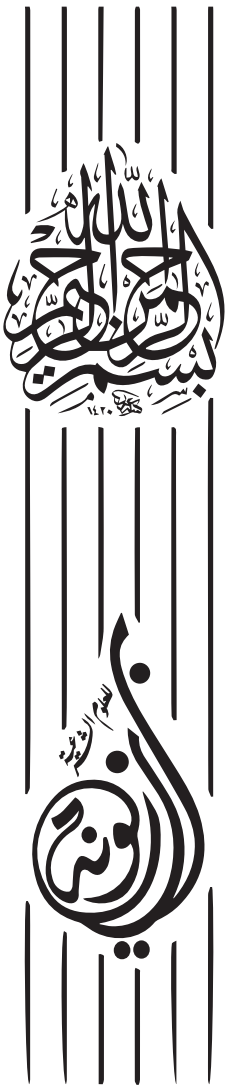

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْد لله، نَحْمَده وَنَسْتَعِينه وَنَسْتَغْفِرَه، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه الله فَلَا مُضَلّ لَه، وَمَنْ يُضْلِل فَلَا هَادِيَ لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَه إِلَّا الله وَحْدَه لَا شَرِيك لَه، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْده وَرَسُوله.

أَمَّا بَعْد:

● **مقدمة:**

بسببِ اختلاطِ الأُمورِ علىٰ كثيرٍ من المسلمين، فلمْ يستطيعوا تمييزَ المنهج الحقَّ وأهلِه عن مناهجِ الباطل وأهلِه، ولم يستطيعوا التفريقَ بين أصولِ الحقِّ وأصولِ الباطلِ، فلم يفرّقُوا بين السُّنّةِ وأهلها والدعاةِ إليها، وبين البدعةِ وأهلها.

وبسببِ تأثُّرِ كثيرٍ من الشبابِ بمناهج أهلِ الأهواءِ والبدعِ وأصولهم وسماتهم. ونظراً لوجوبِ النّصحِ والتحذير ببيان هذه الأصولِ والمناهج ليحذَرها الناسُ.

ولأن أصولَ أهلِ البدعِ والأهواءِ قديمـًا وحديثـًا واحدة، لذا سنذكر مناهجِ وأصولِ أهلِ البدعِ والأهواءِ إجمالاً ثم تفصيلاً من خلالِ النصوصِ وأقوالِ أهلِ العلم.

المقصودُ بمناهجِ أهلِ البدعِ وسماتِهِم: أي طريقتُهُم في فهمِ الدين، وأصولهُم في تقريرِ عقائدِهم وبدعِهِم، وعلاماتهم وخصائصُهم التي يتميّزن بها، ومواقفُهم من القرآن والسنةِ وأقوالِ السلفِ الصالحِ.

أ- مناهجُ أهلِ البدعِ وأصولُهم إجمالاً

١. الخلطُ في مصادر التلقِّي:

فمصادرُ التلقِّي عندهم العقلياتُ، والأوهامُ، والظنونُ، والفلسفةُ، وعقائدُ الأمم الضالةِ.

كذلك من مصادرهم الأحاديثُ الموضوعةُ والضعيفةُ، والرؤىٰ، والأحلامُ، والكشفُ والذوقُ.

كذلك من مصادرهم الاعتمادُ علىٰ المتشابه من النصوص، والاعتمادُ علىٰ آراءِ الرجالِ وأقوالِ الناسِ. وسيأتي تفصيلُ ذلك مع ذِكرِ أمثلةٍ كثيرةٍ علىٰ كلِّ مصدرٍ منها إن شاء الله تعالىٰ.

٢. الخللُ في منهج الاستدلال:

- فأهلُ الأهواءِ يستدلون علىٰ أقوالهم بالفلسفات والأساطير والأحاديث الموضوعةِ وآراءِ الرجال وغيرها.
- وأهلُ الأهواءِ يعارضون الأدلّةَ من الكتاب والسُنّةِ بعقولهم، ويضربون بعضَها بعضاً.
- وهم يردُّون كلَّ ما لا يوافقُ أصولَهُم وأهواءَهم من نصوص الشرع.
- ويفسِّرون نصوصَ الشرع بأهوائهم لا بالنصوصِ وفهمِ السلفِ الصالحِ.
- وأهلُ البدعِ يقومُ منهجُهُم علىٰ المراءِ والجدالِ بالباطلِ وعلىٰ الخصومات.

- وأهلُ البدعِ يتوهَّمُونَ التعارضَ بين العقلِ والنقلِ ثم يحكِّمُون أصولَهُم الفاسدةُ.
- وهم يعتمدونَ التأويلَ في العقيدةِ، وليس لهم عنايةٌ بالإسنادِ والتثبُّتِ.
- بالإضافةِ إلىٰ أنهم أحدثُوا ألفاظًا بدعيةً في أمور العقيدة كالجوهر والعَرَضِ والجسم وغيرِها.

هذه بعض مناهجِهِم وأصولِهِم إجمالاً، وسيأتي تفصيلُ ذلك مع ذكرِ أمثلةٍ علىٰ كلِّ أصلٍ منها إن شاء الله تعالىٰ.

ب- مناهجُ أهلِ الأهواءِ والبدعِ تفصيلاً

- **الخللُ والإخلالُ في منهج التلقِّي والاستدلال**: ومن ذلك:

١. ردُّ النصوصِ التي تخالفُ أصولَهُم الفاسدة:

وهذا منهجٌ لكافةِ أهلِ الأهواءِ أنهم يردُّون نصوصَ الوحي من القرآنِ والسنّةِ إذا خالَفَتْ أهواءَهُم أو عارضَتْ أصولَهُم وقواعدَهم الباطلة.

يقولُ الشاطبيُّ في كتاب الاعتصام (١/ ٢٣١): «**ومنها: ردُّهُم للأحاديثَ التي جرت غيرَ موافقةٍ لأغراضِهِم ومذاهبهم، ويدّعُون أنها مخالفةٌ للمعقول فيجبُ ردُّها كالمنكرين لعذاب القبرِ والصراط والميزان ورؤية الله في الآخرة وكذلك حديثِ الذبابة وأن في أحدِ جناحيه داءً وفي الآخرِ دواءً، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة، ربما قدحُوا في الرواةِ من الصحابة والتابعين وفيمن اتفق الأئمةُ علىٰ عدالتهم**».

ثم يقولُ بعد ذلك: «**وربما ردّوا فتاويهم وقبّحوها في أسماع العامّةِ ليُنفروا الأمةَ عن إتِّباع السُنّةِ وأهلها، وقد جعلوا القولَ بإثبات الصراط والميزان والحوض قولاً بما لا يُعقل، وذهبت طائفةٌ إلىٰ نفي أخبار الآحادِجُملةً والاقتصارِ علىٰ ما استحسنته**

عقولُهم في فهم القرآن، ففي هؤلاء وأمثالِهم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ». وهذا وعيدٌ شديدٌ تضمنه النهيُ، لا حقٌ لمن ارتكب ردّ السنّة».

ثم يقول ص٢٤٦: «ومنه دعاوىٰ أهل البدع علىٰ الأحاديث الصحيحة: مناقضتُها للقرآن أو مناقضةُ بعضِها بعضًا، وفسادُ معانيها، أو مخالفتُها للعقول كما حكمُوا بذلك في حديث «التغريبُ عام والرجمُ» قالوا: هذا مخالفٌ لكتاب الله؛ لأنه قضىٰ بالرجم والتغريب، وليس لذلك في كتاب الله ذكرٌ، فإن كان الحديثُ باطلاً فهو ما أردنا، وإن كانَ حقًا فقدْ ناقض كتاب اللهِ بزيادة الرجم والتغريب». انتهىٰ نقل الشاطبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول شيخُ الإسلام ابنُ تيمية [منهاج السنّة ٣/ ٧٩]: «يردُّون الأحاديث التي تعارضُ مقولاتِهم وإن كانت صحيحةً كما فعل الجُبَّائيُّ في ردِّ حديث احتجاج آدم وموسىٰ».

قال البربهاريُّ [ت٣٢٩] في [شرح السُنّة ص٣٥]: «وإذا سمعتَ الرجلَ يطعنُ علىٰ الآثارِ ولا يقبلها أو يُنكرُ من أخبارِ رسول الله، فاتَّهمْهُ علىٰ الإسلام فإنه رجلٌ رديءٌ المذهبِ والقولِ».

وقال أحمدُ بن حنبل: «من ردَّ حديثَ رسولِ الله فهو علىٰ شفا هلكَةٍ».

وقال ابنُ القيّم في الصواعق المرسلة (٢/ ٩٨٨): «إنّ هؤلاء المعارضين للوحي بعقولهم ارتكبُوا أربعَ عظائم:

- أحدها: ردَّهم نصوصَ الأنبياء.
- الثانية: إساءَة الظنِّ بالوحي وجَعْلَه منافيًا للعقل.
- الثالثة: جنايتَهم علىٰ العقل.

- **الرابعة: تكفيرهُم أو تبديعَهم وتضليلَهم لمن خالفهم في أصولِهِم...»**. انتهىٰ كلامه.

فأهلُ الأهواءِ والبدعِ يتركون كثيراً من النصوص التي تخالف أصولَهم الفاسدة بحجَّةِ مخالفتها للمعقول، وبحجّة مناقضتها لبعضِها البعض، ثم إنّهم يتركون السنّةَ والآثارَ بزعمهم الاكتفاءَ بالقرآن.

يقول البربهاريُّ ت(٣٢٩): «**إذا سمعتَ الرجلَ يأتيه بالأثرِ فلا يريُده، ويريد القرآن، فلا تشكَّ أنّه رجلٌ قد احتوىٰ علىٰ الزندقةِ، فقُم من عندِه ودعْهُ**».

● **ومن الخللِ في منهجِ التلقِّي والاستدلالِ عند أهلِ البدعِ والأهواءِ:**

٢. **الطعنُ في خبرِ الآحادِ**: وهذا منهجٌ لكثيرٍ من أهل البدع والأهواء وخاصةً أهلِ الكلام.

فيقول قائلُهُم: «**إنّ أخبار الآحاد مظنونةٌ فلم يّجُزْ التمسّكُ بها في معرفةِ الله وصفاتِه**».

أما الصحابةُ والتابعونَ وسائرُ السلفِ يأخذُونَ بكلِّ ما صحَّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون تفريق بين الآحادِ وغيره، ودون تفريقٍ بين العمل والاعتقاد، ولم يخالفْ في ذلك إلَّا طوائفٌ من الجهمية والمعتزلة والخوارج ومن سلك سبيلَهُم.

قال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في الرسالة (٤٥٨): «**لم أحفظْ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد...**» وعقد فصلاً في كتابه هذا تحت عنوان [الحجّةُ في تثبيت خبرَ الواحد].

قال الخطيبُ البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه (١/ ٩٧): «**وإنما دفع خبرَ الآحاد بعضُ أهل الكلام لعجزه والله أعلم عن علم السنن رغم أنه لا يقبل منها إلا المتواتر،**

وهذا ذريعة لإبطال سنن المصطفىٰ».

وقال أيضـًا في [الكفاية ص٣١]: **«وعلىٰ العمل بخبر الواحد كان كافةُ التابعين ومَنْ بعدَهم من الفقهاء في سائر الأمصار، ولم يبلُغْنَا عن أحدٍ منهم إنكارٌ لذلك».**

ذكر ابنُ عبد البرِّ في التمهيد (١/ ٧): **«أن مالكـًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ صرّح بأن أحاديث الآحاد تفيدُ العلم».**

أما الأمام أحمدُ فكتابه **«الردُّ علىٰ الجهمية»** مشحونٌ بالاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد.

قال ابنُ حزم في الأحكام (١/ ١٢٤): **«ثبت يقينـًا أن خبرَ العدل عن مثله مبلِّغـًا إلىٰ رسول الله حقٌ مقطوع به موجبٌ للعمل والعلم معـًا».**

صرَح ابنُ تيمية بحجيّة خبرُ الواحد في العقيدة وأنه يوجب العلم، في معظم كتبه[فتاوى (١٨/ ١٦) رفع الملام ص٦٩].

وهكذا ابنُ القيّم في مختصر الصواعق المرسلة (٣٩٤): ذكر أكثر من عشرين وجهـًا كلَّها تفيد أن خبرَ الواحد يفيد العلم اليقين.

وكذلك ابنُ حجر في نزهةِ النظر (٢٦).

وشارح الطحاوية (٣٥٥).

والشوكانيُّ في إرشاد الفحول (٤٩).

والنوويُ في مقدمة شرح مسلم (١/ ٢٠).

وأخيراً يقولُ ابنُ تيمية في الفتاوىٰ (١٣/ ٣٥١): **«ولهذا كان جمهورُ أهل العلم من جميع الطوائفِ علىٰ خبر الواحد إذا تلقَتْهُ الأمَّةُ بالقبول تصديقـًا له أو عملاً به أنه يوجبُ العلم، هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة ومالكٍ والشافعيُّ وأحمد إلاّ فرقةٌ قليلةٌ من المتأخرين اتَّبعوا في ذلك طائفةً من أهل**

الكلام أنكروا ذلك...».

✳ ذكرُ بعضِ النتائجَ لردِّ خبرِ الآحادِ:

ردُّ الأحاديث النبوية في العقائد والأمور الغيبية والاقتصارُ علىٰ القرآن فقط.

إنكارُ الأحاديث المتواترة: ومنها الأحاديثُ التي تتعلّق بأسماء الله الحسنىٰ وصفاتِه العليا، وأحاديث النزول، وأحاديث علوِّ الله جلّ جلالُه وأنه في السماء فوق عرشه بائنٌ من خلقِه وأحاديث أشراط الساعة ومنها أحاديث ظهور المهدي، وأحاديث خروج الدّجّال ونزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام، وأحاديث رؤية المؤمنين لربهم في الجنّة، وأحاديث عذاب القبر، وأحاديث الحوض.

● **ومن الخلل في منهج التلقِّي عند أهل الأهواء:**

٣. استعمالُ الأقيسةِ العقلية في صفاتِ الله وسائرِ أصولِ العقيدةِ:

المذهبُ الحقُّ أن العقيدةَ غيبيةٌ توقيفيةٌ لا مجال للقول فيها إلاّ بالتسليم للنصوص الثابتة، واللهُ عزّ وجلَّ له المثلُ الأعلىٰ من كلِّ شيئ فلا يُقاس بغيرِه لا يُقاسُ به غيرُه، ولكنّ أهل البدع قاسوا الله تعالىٰ بخلقِه، وقالوا في الصفات بمقاييس عقلية.

- ومن ذلك قولُهم: **«إنّ اليد والعينَ والوجهَ جوارحُ وأعضاءُ»** واللهُ منزّهٌ عن الأعضاءِ والجوارحِ، وعليه فليس لله يدٌ ولا عينٌ ولا وجهٌ. فردُّوا ما وصف اللهُ به نفسَه وما وصفه به رسولُه بالأقيسة العقلية.

قال ابنُ مسعودٍ: **«يجيءُ قومٌ يقيسون الأمورَ برأيهم فيُهدَمُ الإسلامُ ويُثلم»**. [رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢/ ١٦٥].

قال ابنُ تيمية (٧/ ٣٩٢): **«التمسُّكُ بالأقيسة مع الإعراض عن النصوص والآثار طريقُ أهل البدع»**.

قال الشعبيُّ: «**إنما هلكتُم حيثُ تركتم الآثار، وأخذتُمُ بالمقاييس**».

وقال شريحٌ: «**إنّ السنّة سبقت قياسكم فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإنكم لن تضلوا ما أخذتم بالأثر**». ابن عبد البر في [جامع بيان العلم].

٤. اعتمادُهم علىٰ التأويلِ والتعطيلِ في صفاتِ الله تعالىٰ وسائرِ العقيدةِ:

فالتأويلُ من أخطرِ مناهجِ أهلِ الأهواءِ، فهو وسيلتُهُم لردِّ دلالةِ النصوص وتعطيل معانيها، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، والتأويلُ هنا معناه صرف اللفظ عن ظاهره المراد إلىٰ معنىٰ آخر مرجوح.

قال الدارميُّ في ردِّه (٢٠٠): «**وبلغنا أن بعضَ أصحابِ المرِّيسيِّ قال له: كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجُّون بها علينا في ردِّ مذاهبنا ممَّا لا يمكنُ التكذيبُ بها؟ قال المريسيُّ لا تردُّوه تفتضحُوا، ولكن غالطوهم بالتأويل، فتكونوا قدْ رَدَدْتُموها بلُطفٍ إذْ لم يمكنكُمْ ردُّها بعنف**».

قال ابنُ القيّم: «**وحقيقةُ الأمرِ أنَّ كلَّ طائفةٍ تتأوّلُ ما يخالفُ نِحْلَتَها ومذهبَهَا، فالعيارُ علىٰ ما يُتَأَوَّلُ، وما لا يُتَأَوَّلُ هو المذهبُ الذي ذهَبَتْ إليه، والقواعدُ التي أَصَّلَتْها، فما وافقها أَقرُّوهُ ولم يتأوَّلُوه، وما خالَفَها، فإنْ أمكنَهُم دَفعُهُ وإلاّ تأوّلوه**».

[الصواعق المرسلة ١/ ٢٣٠].

● **والتأويلُ الباطلُ عند أهل الأهواء مرَّ بمراحل هي:**

المرحلة الأولىٰ: ردُّ بعضِ السنّةِ وتكذيبُها والطعنُ في الرواة بما فيهم الصحابة، وهذا منهجُ الجهمية والمعتزلة الأوائل وغيرهم.

المرحلة الثانية: التأويلُ وذلك حينما وجدوا قوّةَ تصدِّي السلفِ وتهديدَ الولاة لهم.

المرحلة الثالثة: مرحلةُ الردِّ لخبرِ الآحادِ والتأويلِ عند متأخري الأشاعرةِ.

المرحلة الرابعة: الجمعُ بين الردِّ والتأويلِ والطعنِ في الرواة الأئمة العدول كما فعل الكوثريُّ ومدرستُه.

المرحلة الخامسة: مرحلةُ الردِّ والإعراضِ الكاملِ والرَّفضِ المعلنِ لمناهجِ السلفِ، وهو مذهبُ المتأخرين من المتكلمين العصرانيين الذين يزعمون الحاجة إلىٰ تجديد الدين.

✳ أمثلةٌ على تأويل أهلِ البدع والأهواء للصفات

في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] قالوا: ويبقىٰ ثوابُه أو هو بمعنىٰ القبلة أو غير ذلك وهذا خلاف ظاهر اللفظ الذي يثبت أن لله وجهًا يليق به عَزَّوَجَلَّ.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] قالوا: اليدُ بمعنىٰ النِّعمة أو القوَّة.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قالوا: أي استولىٰ علىٰ العرش، أو بمعنىٰ الإقبال علىٰ خلق العرش وغيره. وظاهر اللفظ معناه استعلىٰ واستقرّ.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢] قالوا: أي جاء أمرُه أو جاءت رحمتُه.

كذلك أوَّلوا نزول الرّب ورضاهُ وكلامه وضحِكُه ورؤيةَ المؤمنين له وبقية الصفات.

● **ومن الخلل في منهج التلقِّي عند أهلِ الأهواء:**

٥. **الاعتمادُ علىٰ الكذبِ والوضع وما لا أصل له في الدين:** ولا يعتمدون علىٰ الإسناد:

ولذلك يكثُرُ استدلالُهُم بالموضوعاتِ والمكذوباتِ والآثارِ الضعيفةِ، وهم في الوقتِ نفسِهِ يرُدُّونَ ما يخالفُ أهواءَهُم من النصوص الصحيحة.

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٧/ ٤٤٥-٤٤٦): «**وهذا في البدع الكبار مثلُ الرافضةِ والجهميّةِ فإنّ الذي وضع الرفضَ كانَ زنديقًا ابتدأ تعمُّدَ الكذبِ الصريح الذي يَعلمُ أنه كذب، وكذلك الجهميةُ ليس معهم علىٰ نفي الصفات وعلوِّ الله علىٰ العرش ونحوِ ذلك نصٌ أصلاً ولا آيةٌ ولا حديثٌ ولا أثرٌ عن الصحابة...**».

٦. اعتمادُهمُ علىٰ تقريرِ العقيدةِ علىٰ أُصولهم الفاسدةِ:

قال شيخ الإسلام في الفتاوىٰ (١٧/ ٣٥٥): «**وطريقُ أهل الضلال والبدع أنهم يجعلون الألفاظَ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصلُ ويجعلون ما قالَهُ اللهُ ورسولُه تبعًا لهم فيردُّونها بالتأويل والتحريف إلىٰ معانيهم...**».

وقال أيضًا في منهاج السنّة (٧/ ٣٧): «**وأهلُ البدع سلكُوا طريقًا آخرَ ابتدعوها اعتمدوا عليها ولا يذكرون الحديث بل ولا القرآن في أصولهم إلاّ للاعتضادِ لا للاعتمادِ...**».

٧. ومن الخلل في منهج التلقِّي عندهم وضعُ الدليل في غيرِ ما يدلُّ عليه:

قال ابنُ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخوارج: «**انطلقُوا إلىٰ آياتٍ نزلت في الكفّار فجعلوها علىٰ المؤمنين**». [رواه البخاري] [فتح (١٢/ ٢٨٢)]. وهذا منهجُ كثيرٍ من أهل الأهواء والبدع.

٨. كراهيتُهُم لنصوص الصفاتِ والتوحيدِ وطعنُهُم في رواتِها من الأئمةِ:

لمّا خالف أهلُ الأهواءِ السلفَ، وسلكُوا مسلكَ التأويلِ والتعطيلِ، تعارضت شبهاتُهُم مع دلالةِ النصوصِ، فصاروا يُنفِّرون منها، وتطاولوا علىٰ رواتها من الصحابة ومن بعدهم.

يقولُ ابنُ القيّم الصواعق (٣/ ١٠٩٣-١٠٤٠): «**ولهذا تجدُ كثيراً لا يحبُّون تبليغ النصوص النبوية أو إظهارها وإشاعتها، وقد يشترطون في أماكن يقفونها أن لا يقرأ فيها أحاديث الصفات، وكان بعضُ متأخريهم كَلِفٌ بإعدام كتُبِ السنّةِ المصنّفةِ في الصفات وكتمانِها وإخفائِها، وبلغني عن كثيرٍ منهم أنه كانَ يهُمُّ بالقيام والانصرافِ عند ختم صحيح البخاري وما فيه من التوحيد والردِّ علىٰ الجهميّة، وسُمعَ منه الطعنُ في محمد بن إسماعيل، وما ذنبُ البخاريِّ وقد بلّغ ما قاله رسولُ الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **»**.

● **وذكر أهلُ العلم أنّ أهلَ الأهواء يكرهونَ الحديثَ والإسنادَ وأهلَهُ:**

فقد أخرج ابنُ الجوزي عن أبي نصر بن سلام البخاريُّ قال: «**ليس شيءٌ أثقلَ علىٰ أهل الإلحاد ولا أبغَضَ إليهم من سماع الحديثِ وروايتِه بإسناد**»؛ ولذلك يبغضُون أهلَ الحديث.

وأخرج ابنُ الجوزيُّ أيضـًا عن أحمد بن سنان رَحِمَهُٱللَّهُ قال: «**ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا وهو يبغضُ أهل الحديث، فإذا ابتدع الرجلُ نُزعت حلاوةُ الحديثِ من قلبه**».

ذكر الأثرين الأخيرين ابنُ الجوزيُّ في [صون المنطق ص٤١].

وأخرج الحاكمُ في معرفة علوم الحديث (٤)، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٧٤ برقم ١٥٨، عن أحمد بن الحسن: «**أنه قال لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله! ذكروا لابن أبي قُتيلةَ بمكة أصحاب الحديث فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أحمد بن حنبل وهو ينفضُ ثوبه ويقول: زنديقٌ زنديقٌ زنديقٌ، حتىٰ دخل البيت**».

قال أبو عثمان الصابوني ت٤٤٩ في **عقيدة السلف أصحاب الحديث**: «**وعلاماتُ البدعِ علىٰ أهلها باديةٌ ظاهرة، وأظهرُ آياتهم وعلاماتهم شدّةُ معاداتهم لحملةِ أخبار النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ**، واحتقارُهُم لهم واستخفافُهم بهم وتسميتُهُم إيَّاهُم جهلةٌ ومشبهة...**».

٩. ومن سماتِ أهل الأهواء انحرافُهُم في مفهوم التوحيد وتقريره:

❊ التوحيدُ عند السلف هو شهادةُ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وإثبات أسماء الله وصفاته وأفعاله كما جاء في القرآن والسنّة من غيرِ زيادة ولا نقصان، ثم أركان الإسلام والإيمان.

☜ أما أهل الأهواء والافتراق فإنهم في مفهوم التوحيد علىٰ مناهج تتلخص فيما يلي:

☜ فالتوحيدُ عند الجهميةِ نفيُ أسماء الله وصفاته وأفعاله.

☜ والتوحيدُ عند المعتزلةِ نفيُ الصفات والأفعال.

☜ والتوحيدُ عن أهل الكلام والأشاعرة تأويلُ صفات الله تعالىٰ، ونفيُ أفعاله والكلامُ في ذلك بالفلسفات والعقليات.

☜ والتوحيدُ عن الرافضةِ هو الشركُ بدعاء الأمواتِ والأحياءِ والتعبدُ بزيارة المشاهد والآثار وعبادتُها.

☜ والتوحيدُ عند الصوفية الأورادُ البدعيةُ والغناءُ والإنشادُ والاتحادُ والحلولُ ووحدةُ الوجود والبدعُ والقبورياتُ، ومن اطّلع علىٰ كتبهم يجدُ انحرافَهم في مفهوم التوحيد وتقريره.

١٠. ومن أعظم سماتِ أهل الأهواء: الجهلُ:

- ويشتملُ ذلك الجهلُ بالله تعالىٰ وتوحيدِه وحقوقِه، والجهلُ بمنهج الأنبياء وما أنزل اللهُ إليهم.

- والجهلُ بنصوص الشرع.

- والجهلُ بآثار السلفِ وعقيدتِهم ومناهجِهم ومنزلتِهم.

- والجهلُ بقواعد الشرع ومقاصدِه.
- والجهلُ بمنهج التلقِّي والاستدلال.

وقد يوجد من أهل الأهواء من هو عالمٌ بشُعبة أو أكثر من شُعب العلم، كاللغة **«الزمخشري»**، أو الفقه، أو التفسير **«الرازي»**، أو غيرها.

✳ ومن مظاهر جهلِ أهل الأهواء ما يلي:

● **جهلُهُم بما دلَّ عليه الكتابُ والسنّةُ وآثار السلف الصالح:**

قال شيخ الإسلام (١٧/ ٣٣٤): **«لكنَّ كثيراً من المتكلمين أو أكثرِهِم لا خبرةَ لهم ما دلَّ عليه الكتابُ والسنّةُ وآثارُ الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان، بل ينصر مقالاتٍ يظنُّها دينُ المسلمين بل إجماعُ المسلمين، ولا يكون قد قالها أحدٌ من السلف، بل الثابتُ عن السلف مخالفٌ لها، فلمّا وقع بين المتكلمين تقصيرٌ وجهلٌ كثيرٌ بحقائق العلوم الشرعية، صارت المناظراتُ بينهم دولاً...»**.

وقال في درء التعارض (٥/ ٣٧٤): **«تبيَّن أن قول الذين يُعرضون عن طلب الهدىٰ والعلم في كلام الله ورسوله من أصناف أهل الكلام والفلسفة وغيرِهم هم من أجهلِ الناس وأضلَّهم بطريق العلم...»**.

● **ومن مظاهر جهلهم:** سوءُ الأدب مع الله تعالىٰ، والخوضُ في أسمائه وصفاتِه بغير علم:

فتكلموا في صفات الله تعالىٰ بغير علم بالتعطيل والتأويل فقالوا عن الله تعالىٰ: لا سمع له ولا بصر ولا حياة ولا إرادة ولا يتكلَّم، ولا يرضىٰ ولا يغضب ولا يفرح بتوبة تائب ولا ينزلُ كلَّ ليلةٍ إلىٰ سماءَ الدنيا... وهكذا أساءوا الأدب مع الله تعالىٰ وتكلّموا في صفاته بغير علم.

● **ومن جهل أهل الأهواء:** أنهم يلمزون علماءَ السلفِ بقصرِ النظر وعدم التعمُّق

في العلم:

وهذا باطلٌ فإن السلف كانوا أهل علمٍ وذكاءٍ لكنهم وقفوا حيثُ أمرهُم اللهُ ورسوله، ومن التمس غير سبيلهم هلك.

قال شيخ الإسلام: «**ومن آتاهُ اللهُ علمـًا وإيمانـًا، علم أنه لا يكون عند المتأخرين من التحقيق إلاّ ما هو دون مستوىٰ تحقيق السلف، لا في العلم ولا في العمل**».

[الفتاوى (٧/ ٤٣٦)].

١١. **ومن منهاج وسماتِ أهلِ البدعِ**: الخصوماتُ والمراءُ والجدالُ بغير حقّ:

والقرآنُ ذمَّ الجدالَ بالباطلَ وبغير علم وكذلك السنّةُ وكذلك السلفُ الصالحُ والأئمة.

١٢. **ومن منهاج أهلِ الأهواء**: التلبيسُ:

أي لبسُ الحق بالباطل، واستخدام الأساليب والمصطلحات والألفاظ الموهمة للحق لإيهام الناس وخداعِهِم والترويج لمقولاتِهم وعقائِدهم. ومن تلبيساتهم: جعلُهُم السنّةَ بدعة والبدعة سنّة. ومنها: زعمُهُم أن بعضَ السلف علىٰ مذاهبهم كذبـًا.

١٣. **ومن سماتِ أهلِ البدعِ**: التناقضُ والاضطرابُ والحيرةُ والشكُّ:

وكذلك التلوُّن، والتلوُّنُ هو سرعةُ التقُّلبُ من رأي إلىٰ رأي، ومن موقف إلىٰ موقف، ومن التلوّن الظهورُ لكل حالةٍ بما يوافقها ولو بغير حق، ولكل قومٍ بما يوافقهم، فهو نوعٌ من النفاق.

فالفُرقةُ من أهل البدع لا تستقرُّ علىٰ رأي أو عقيدةٍ أو موقف، وهذا حالُ الخوارج والمعتزلةِ وغيرهم من الفرق.

وهذا الغزاليُّ تقلب بين الفلسفةِ ثم الكلامِ ثم التصوفِ ثم التسليم بمذهب السلف إجمالاً.

قال أحمدُ ابن حنبل: **«هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، يُلبِّسونَ علىٰ جهَّال الناس بما يتكلمون به من المتشابه»** [الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٠٧)، الرد على الجهمية لأحمد بن حنبل (١/ ٨١)].

- **ومن مظاهر التناقض عند أهل البدع:**

☜ الخلطُ بين السنن والمحدثات والبدع.

☜ التنقُّلُ وعدم الاستقرار علىٰ رأي بسبب تركهم للكتاب والسنّة.

☜ كلٌّ منهم يقول عن الآخر أنه ليس علىٰ شيء.

☜ يعادي بعضُهم البعض.

قال إبراهيم النخعي في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة:٦٤]، قال: **«هم أصحاب الأهواء»**. [الشرح والإبانة لابن بطة (١٤١)].

١٤. ومن مناهج أهل البدع وسماتِهم: الغلُّ علىٰ المسلمين وسبُّ السلف ولمزُهم: فأهلُ الأهواء فِرقٌ وجماعاتٌ، وكلُّ فِرقةٍ يحصرون الحقَّ والولاءَ في جماعتهم ويرون غيرَهُم من المسلمين ضُلاّلاً هالكين.

- **ومن مظاهر غِلِّهم علىٰ المسلمين والسلف:**

☜ الطعنُ في أصحاب رسول الله ﷺ.

☜ بغضُهم للحديث والإسنادِ وأهله.

☜ كذبُهُم وتقوّلُهُم علىٰ الأئمة العلماء.

☜ تضليلُهم أئمة الإسلام.

قال الذهبيُّ: «**قال ابنُ أبي دؤاد أيضًا في أحمد: يا أمير المؤمنين إنه والله كافرٌ مشركٌ قد أشرك من غير وجه....**» [سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٥٣)].

● **ومن منهاجهم نحو السلف**: جهلُهُم بمذهب السلف أو تجاهُلهُم له.

١٥. ومن مناهجهم: موقفُهُم العدائيُّ مع المخالفين:

فهم يقفون مع مخالفيهم مواقف عدائية من التضليل والتكفير والتضييق والتجهيل وإطلاق ألفاظ السبِّ والشتم والسخرية واستعداء السلطانِ إذا أمكنهُم ذلك.

قال ابنُ تيمية: «**فبعضُ الفرقِ يقاتلون المسلم المخالف لهم ويعاملونه معاملة الكفّار والمشركين. بل منهم من يوالي الكفّار ويعادي المخالف من المسلمين، كذلك كلُ من فيه نوعٌ من البدع تجده يعتقد اعتقادات فاسدة ويكفّرُ من خالفه أو يلعنه**». راجع [منهاج السنّة لابن تيمية (٤/ ٥٣٧-٥٣٨)].

● **أما مواقف أهل البدع من المخالفين لهم**: في كل زمان ومكان ففيها التضييقُ والأذىٰ في صورٍ عديدة.

وأهلُ البدع يبتدعون البدعة ويكفّرون من خالفهم.

قال ابن تيمية: «**وسائرُ أهلِ الأهواء يبتدعون البدعة ويكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضةُ والمعتزلةُ والجهميةُ، والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء...**» [الفتاوى (١٧/ ٣١١)].

● **وأهل البدع من منهجهم**: استنكارُ السنّة والتضييق علىٰ أهلها:

قال الشاطبيُّ [ت٧٩٠]: «**يلتزمُ الناسُ بالبدع حتىٰ تكون مخالفتُها عندهم هي المنكر، وربما يعاقبون من لزم السنّة، وقد يستبيحون دمه، كبدعة التزام الدعاء بعد**

الصلوات دائمًا علىٰ الهيئة الجماعية». [الاعتصام (٢/ ٢٧٥)].

١٦. **ومن سمات أهل الأهواء**: الخروج علىٰ أئمةِ المسلمينَ وجماعتِهِم واستحلالُ السيفِ:

وهذه من أبرز سماتِهِم أي الخروج علىٰ الجماعة أو الأئمةِ بالسيف واستحلالُ ذلك.

أخرج اللالكائيُّ بسنده عن أبي قلابة قال: «**ما ابتدع قومٌ بدعةً إلا استحلوا السيف**». [أخرجه الدارمي بسند صحيح (١/ ٤٤)].

قال ابنُ تيمية: «**من أصولِ أهلِ السنّةِ والجماعةِ لزومُ الجماعةِ، وتركُ قتال الأئمةِ، وتركُ القتالِ في الفتنةِ، وأما أهل الأهواء كالمعتزلة فيرون القتالَ للأئمةِ من أصول دينِهِم...**» [الفتاوى (٢٨/ ١٢٨-١٢٩)].

● **كذلك من خروجهم عن جماعة المسلمين**: تركُ الصلاةِ خلف الفاسقِ والمفضول، فإن غالب أهل الأهواء لا يجيزون الصلاة خلف الفاسق.

١٧. **ومن سماتهم**: الإصرارُ علىٰ بدِعِهم فلا يهتدُون ولا يوفَّقُون للتوبةِ:

ومن خلال الاستقراء وتتبع أقوال أهل العلم نلاحظ أن أهل البدع إذا تأصلت فيهم لا يرجعُون عنها ولا يهتدون للحقِّ، ولا يوفّقون للتوبة إلا نادراً.

وقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وصف أهل الأهواء: «**تَتَجَارَىٰ بِهِم الْأَهْوَاء كَمَا يَتَجَارَىٰ الكَلَبُ بِصَاحِبِه**». [صححه الألباني عند ابن أبي عاصم في كتاب السنّة (١/ ٧)].

● **ومن أقوالِ السلف**:

قال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**الهوىٰ عند من خالفَ السنّةَ حقٌّ وإن ضُربت فيه عنقُه**». [الشرح والإبانة لابن بطة (٢/ ٤٣١)].

وقال محمد ابنُ سيرين: **«ما أخذ رجلٌ بدعةً فراجع سُنّةٍ»**. [الشرح والإبانة (١٣١)].

قال أبي عمرو الشيبانيُّ: **«كانَ يقالُ: يأبىٰ اللهُ لصاحب بدعةٍ بتوبةٍ، وما انتقل صاحبُ بدعةٍ إلا إلىٰ شرٍّ منها»** [البدع والنهيُ عنها لابن وضّاح (٥٤)].

قال ابنُ تيمية: **«ولهذا قال بعضُ السلفِ منهم الثوريُّ: البدعةُ أحبُّ إلىٰ إبليس من المعصيةِ لأن المعصيةَ يتابُ منها، والبدعةُ لا يتابُ منها...»** [الفتاوى (١١/ ٦٨٤)].

ثم قال: **«ومن قال: ما أذن اللهُ لصاحب بدعةٍ من توبةٍ فمعناه ما دام مبتدعًا يراها حسنةً لا يتوبُ منها، فأما إذا أراه اللهُ أنها قبيحةٌ فإنه يتوبُ منها...»**. [الفتاوى (١١/ ٦٨٥)].

١٨. **ومن سماتهم**: الإكثارُ من حشو الكلاميات والفلسفات:

ومن الكتب والمصنفات والردود مع قلَّةِ البركةِ وقلّةِ الفائدةِ في مصنفاتِهم وعلمهم فلا يستفيدُ منها إلا أمثالُهُم مرضىٰ القلوب أو نحوُهم إلا ما ألفّوه فيما وافق السنّة.

١٩. **ومن سماتهم**: حرصُهُم علىٰ نشر بدعِهِم وقوةُ تأثيرهم فيمن يخالطُهم:

أهل البدع لديهم جَلَدٌ وقوةٌ وحرصٌ عجيبٌ في الدعوةِ إلىٰ بدعهم وأهوائهم وذلك من الفتنةِ وتزيين الشياطين لأعمالهم، لذلك غالبًا ما يؤثرون علىٰ جليسهم، ولذلك حذّر السلفُ من مجالسةِ أهل الأهواء. فأهلُ الأهواء يحرصون علىٰ جذب الناس إلىٰ بدعهم ليكثروا سوادهم، ولذلك يبثُّون الدعاةَ إلىٰ مذاهبهم في كل مكان ويتحمَّلون الصعابَ كما كانَ يفعلُ واصلُ بنُ عطاء في زمانه.

٢٠. **ومن سماتهم**: وقوعُهُم في الإثمِ والتقصيرِ والتعبُّد غيرِ المشروع والورع الكاذب:

فهم أكثرُ الناس استحلالاً للمحرّماتِ لفساد أصولهم فهم يستحلّون الكذبَ ويقعون في أعراضِ الناس والعلماءِ خاصةً ويتساهلون في الربا والغناء والمعازفِ

وصلاة الجماعةِ وغيرها. أما وقوعُهُم في التعبُّد البدعي فواضحٌ وكما وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادة الخوارج «**تَحْقِرُون صَلَاتَكُم عِنْد صَلَاتِهِم...**».

٢١. ومن سماتهم: الذلَّـةُ:

قال سفيانُ ابن عُيينة: «**ليس في الأرضِ صاحبُ بدعةٍ إلاَّ وهو يجدُ ذِلَّةً تغشاه**».

قال: «**وهي في كتاب الله**: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ ﴾ [الأعراف:١٥٢]» [حلية الأولياء (٧/ ٢٨٠)].

قال الشاطبيُّ: «**وجاء عن سفيانَ بن عيينة وأبي قلابة وغيرِهما أنهم قالوا: كلُّ صاحب بدعةٍ أو فريةٍ ذليلٌ، وذكر قول ابن سيرين «أني أرىٰ أسرع الناسِ ردّةً أصحابُ الأهواء..»**». [الاعتصام (١/ ٦٧)].

٢٢. ومن سماتهم: السرِّيةُ والكتمانُ والنجوىٰ في الدين:

الأصلُ في الدين والسنّةِ والدعوةِ: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ والنصيحةُ والإعلانُ والبيانُ أما السرِّيةُ في هذه الأمور فلا تكون إلا لضرورةٍ يقدّرها أهلُ العلم، وقد حذّر السلفُ عن التناجي في الدين.

قال عمرُ بنُ عبد العزيز: «**إذا رأيتَ قومًا يتناجون في دينهم بشيءٍ دون العامّةِ فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالةٍ**». [اللالكائي (١/ ١٣٥)].

وقال محمد بن عبيد الله: «**كانَ يقالُ: يتكاتمُ أهلُ الأهواءِ كلَّ شيءٍ إلا التآلف والصحبة**» [الإبانة (٢/ ٤٧٩)].

٢٣. ومن سماتهم: شؤمُهُم علىٰ الأمَّةِ وإسهامُهُم في نكباتِها وفرقتِها وهوانِها وتسلُّطِ أعدائها في كل زمانٍ وحيثما كانوا:

وإذا قرأنا التاريخ ثبت لنا ذلك؛ فأول فتنةٍ فرَّقت الأمَّةَ فتنةُ السبئيةِ التي أدَّت

لمقتلِ عثمانَ ثم ظهرت الخوارجُ والرافضةُ.

ولمَّا ظهرت القدريةُ والمعتزلةُ فسدت عقائد طوائف من الأمّةِ وأوقعتها في الخصومات والافتراق، ولمّا تمكنت المعتزلةُ في الدولةِ ألزمتِ الأمَّةَ بالقولِ بخلق القرآن ولا زال أحفادُهُمُ يلزمون الناس بهذه المقولةِ وغيرِها إلىٰ يومنا هذا.

ولمّا تمكنت دويلات الباطنية والقرامطةِ قمعت السنَّةَ والحديثَ وأظهرتِ البدع والإلحاد وقتلوا الحُجَّاجَ وأخذوا الحجرَ الأسود وأفسدوا في الأرض ومكَّنُوا للنصارىٰ من دخول ديار المسلمين.

ولمّا تمكنت الطرقُ الصوفيةُ من الدولة العثمانية في آخر عهدها ضعُفت الأمَّةُ وذلَّت، وتعلقتِ بالأضرحةِ والمشاهدِ فأصابها الذلُّ وتسلط عليها أعداؤها فمزّقوها، ولا تزالُ الطرقُ الصوفيةُ ببدعها ومحدثاتها من أعظم أسباب وهنِ الأمة وتفرُّقِها. راجع [الفتاوى (١٣/ ١٧٧-١٧٩)]. وكذلك الأحزاب والجماعات ساهمت في تفريق الأمّةِ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذه بعض مناهج وأصول أهل البدع والأهواء وعلىٰ المسلم أن يحذرها.

وَآخِر دَعْوَانَا أَن الْحَمْدُ لِله رَب الْعَالَمِين.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية